باب المراسلة والمناظرة

الطبيعة الميتافيزيقية
والعلوم التجريبية

ان بعض ما يصب على العلوم الحديثة هو تطيب ما يعبر عنهُ بكلمة ال Experimentalisme اي النزعة التجريبية فتكون العلوم الحديثة تخضع العقل الانساني للتجربة والحس قد يكون مقبولاً اذا كان الحس هو ارقى ما في الكائن البشري الذي يتميز بالادراك قبل تميزه بالحس

نحن لا ننكر التقدم العظيم الذي وصلت اليه العلوم الحديثة وما بلغتهُ العلوم التجريبية من ايغال في الكشف عن حقائق المظاهر الطبيعية وما جنتهُ البشرية من ثمار هذه العلوم غير اننا هنا نتكلم عن المعرفة من الوجهة النظرية البحتة فنقول ان الوصول الى معرفة حقائق الكون يكون منطقيًّا من نصيب المواهب الانسانية العليا وان ال Experimentalisme Scientifique وهي الصفة المميزة للعلوم الحديثة تقيم للمشاهدة الوزن الاول وتخضع الادراك البدهي للمشاهدة وربما كان هذا الامر وحده ممكناً في التحقيق العلمي المتداول غير انهُ ليس الطريق الصحيح لاستنباط الحقائق العلمية فما يعبر عنهُ بكلمة ال Intuitive Knowledge اي المعرفة البدهية لا يحظى بنصيب في الميدان العلمي وكل ما يصنع العلماء هو بناء نظريات خاصة بالاستناد الى مشاهدات حسية والحس كثيراً ما يخطىء بل ان لفظة الحس قد تكون مرادفة للخداع الادراكي والحقائق التي تأتي عن هذا الطريق حقائق نسبية محدودة وهي ان كانت ناقصة حقًّا الا انها لا تمت بصلة كبيرة للمعرفة الصائبة لماهية المظاهر الكونية لانها لا تدخل في حسابها القابليات الاولى للفرد الانساني وهي الوصول الى معرفة الحقائق العامة بطريقة مباشرة ولا يجب ان نترك مسألة المعرفة الادراكية لطبقات المتصوفة وحدها بل من اللازم ان يجعل لها نصيب في استنباط الحقائق العلمية او على الاقل اذا لم نفعل ذلك ان لا ننسى ما لدينا حقائق علمية مطلقة ولا أقول ان طرق العلم الحديث عقيمة ولكنني أعني انها تستجعل المعرفة وقد طغت عليها فكرة الPhenomenalisme التي تتلخص في تعليل الظواهر الكونية بظواهر أخرى وينتهي الامر بألا يجد العلماء أنفسهم على بينة من أمر اي ظاهرة طبيعية ولا على قدرة على معرفة طبيعية اي قوة او مادة بالنسبة لذاتها فالعلم التجريبي يعرف الطبيعة الفاعلية والتحليلية للعناصر ولا يعرف طبيعتها الميتافيزيقية التي هي العلة في الطبيعة الفاعلية والتحليلية[1]

خطأ العلم التجريبي سيتضح في عجزه الظاهر عن جمع شتات العلوم الانسانية في كلٍّ واحد

---

(١) مذكرات عن الطبيعة الميتافيزيقية (خاصة)

هو المعرفة الحقة فالعلم او المعرفة كلّ روحي لا يجزأ وسبلغ المرء رتبةً يقدر بموضوع المعرفة في ظهورها له فهي لا تقسم من حيث الكمية ولكن من حيث الظهور

والعلم الحقيقي على ما اعتقد هو الذي يعطي الـ Intuition مكانته التي يستحقها في استنباط الحقائق لان المعرفة الادراكية هي الطريقة المثالية للاتصال بالكون وحل معمياته وليست المعرفة الحسية وربما احتج البعض بان هذا غير عملي ولكنني اقول ان المعرفة لا يمكن ان تكون الاّ كذلك

نحن نقترح ايجاد علم جديد هو La Physique Metaphysique او الميتافيزيقا الطبيعية[1] الذي يمكن تعريفه بأنهُ العلم الذي يرجع الظواهر الطبيعية الى اسبابها فيما وراء الطبيعة ولا يعللها مظاهر طبيعية بأخرى كما يفعل العلم التجريبي . واسم آخر يمكن ان يطلق على الطبيعة الميتافيزيقية هو Science formulaire او علم الصيغ لاننا اذا نظرنا في التحقيق العلمي بهذه الطريقة نجد لكل تفاعل بين عنصرين صيغة خاصة هي الصيغة الميتافيزيقية فالعلم التجريبي عندما يرى تبخر الماء بسبب الحرارة يقول انهُ يحدث لانهُ كذلك فيعجز عن معرفة الطبيعة الميتافيزيقية للماء والنار وهو ان أفلح في معرفة الطبيعة التعاملية لكلاهما فانهُ يقف عند ذلك[2]

قال formula تشرح العلاقة بين عنصرين في تفاعلهما من الوجهة الميتافيزيقية والـ Inter formula تبحث في الصلة بين صيغة وأخرى والـ Conjunction تبحث في صيغة واحدة في حالة تبديل أحد العناصر المشتركة فتفاعل الماء والحرارة ينتج عنهُ صيغة وتفاعل الاكسجين والهيدروجين ينتج عنه صيغة مخالفة والعلاقة بين الصيغتين هي الـ Inter formula بينما تفاعل الماء والبرودة ينتج عنه الـ Conjunction بينهُ وبين تفاعلهِ مع الحرارة وهكذا[3]

وسنجد أننا نصل بالتحقيق الى سر المعرفة الميتافيزيقي للعناصر والطبيعة الغير مادية للمادة فنعرف كنهها وهذا على ما أظن هو الطريقة الوحيدة للوقوف على أسرار الطبائع الكونية ومعرفة الماهية لذاتها لان العلم التجريبي يبحث عن الماهية التحليلية والتفاعلية ولا يعرف الماهية الذاتية للعناصر . وما اسميه الكيمياء الخالقة سوف تكون إحدى نتائج التوسع في دراسة الطبيعة الميتافيزيقية[4]

هذه كلمة موجزة عما اعتقده طريقة علمية صائبة تكشف عن سر المادة والقوة[5] وهو ما اشتغل ببحثه منذ زمن وأراني على استعداد لبحث الموضوع مع من يهمهم هذا الامر ويسرني ان انشر صفحات من مذكراتي عن الطبيعة الميتافيزيقية والحركة الدائمة وسر التكوين المادي والميكانيكا غير المتوازنة وغيره مما ترون اشارة اليه في اسفل الصفحة

علي حافظ

(١) الكلمة مكونة من جزئين — الطبيعة التي تبحث الظواهر المادية والميتافيزيقا تهتم بما وراء الطبيعة والميتافيزيقا الطبيعية علم مقارنة

(2) Inter—formulas & Nature of Elements.
(3) The metaphysical physics and non experimentalism (notes)
(4) Light on Creative Chemistry and Existence of Elements.
(5) Secrets of Force and Material Constitution.